حول مهرجان العالم الاسلامي وندوته ملاحظات ونقدات

د. ابراهيم جمعه

كانت اقامة المهرجان الاسلامي وندوة الحضارة الاسلامية في لندن هذا العام حادثا ثقافيا ضخما هز العالم كله وشد انتباه المعنيين بالدراسات الاسلامية الى انجلترا ليشهد بعضهم بعضا ويستمع الى بعض ، وما احوج علماء الاسلاميات الى مثل هذه اللقاءات تشحذ الهمم الى مزيد منّ المعرفة ومزيد من الدراسات في اوسع حقل من حقول الحضارة وارحب ساحة من ساحات التقدم الانساني .

وليس من شك في جلال الفكرة ونبل القصد ، ولا ضير ان تكون الدعوة قد صدرت عن لندن او غيرها من عواصم الغرب لان الحضارة تراث انساني مشاع ، وابراز هذا التراث امر يشكر عليه الذين فكروا في عرضه وتجليته وتصنيفه على

صفحة من مصحف بالخط المغربي من
القرن السادس الهجري

نقش حائط مجسم لغصن به أوراق وثمار
من القرن الثامن الهجري •

النحو الذي ظهر به في المهرجان وفي الندوة ، ومن ثم لايكون هناك مجال للسؤال الذي القى على كثير ممن مثلوا بلادهم في هذا اللقاء ـ لماذا صدرت الدعوة عن لندن بالذات ؟

ليس عيبا أن نرى انفسنا من خلال مرآة اجنبية عاكسة ، بل العيب كل العيب الا نرى انفسنا بتاتا ، فاذا رأيناها ففي النطاق المحلي المحدود •

وليس من بين حضارات العالم كله حضارة اتسعت رقعتها وتعددت جوانبها وتباينت مظاهرها وانصهرت رغم ذلك في بوتقة واحدة جعلت منها حضارة ضخمة متسقة كحضارة الاسلام •

كانت الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى بمراكزها المعروفة في الشرق الادنى واسبانيا مرآة عاكسة راى فيها الاوروبيون آباءهم وأجدادهم من الرومان واللاتين والاغارقة بما خلفوا من علم وفن ممزوجا بتراث الفرس والهنود وما أضاف مسلمو العصور الوسطى الى هذا التراث وذاك من ابداعات تعتبر في ذاتها فصولا جديدة من فصول حضارة الانسان •

كانت مراكز العلم العربي الاسلامية ساحات رحيبة وسعت رواد العلم الاوروبيين الذين وفدوا عليها من كل فج ينهلون من وردها الصافي في ربوع الشرق الادنى والاندلس دون حائل من أثرة أو عصبية للجنس أو الدين ، وضرب المسلمون في ذلك مثلا رائعا في عالم العلم والفكر ودلوا على ادراك حضاري واسع ليس له في تاريخ الفكر والحضارة ضريب أو شبيه •

أتيح لهؤلاء الوافدين أن ينقلوا الى لغاتهم ماراق لهم أن ينقلوا من تراث آبائهم من الاغارقة واللاتين وماأضاف اليه المسلمون في عطاء اسلامي خير لايعرف الحدود وسماحة اسلامية ترى العلم ميراثا بشريا عاما لايحجب عن الراغبين فيه ، وتلك صفة أشار اليها المنصفون من مؤرخي الفكر والحضارة من الاوروبيين أمثال جوستاف لوبون وهانوتو وماكس مايرهوف وتوماس أرنولدوبريجز وكريستي وغيرهم ممن كتبوا الفصول الطوال والفصول القصار في فضل العرب المسلمين على العلم الانساني والحضارة الانسانية منذ بلغت الموجة الحضارية الاسلامية ذروتها في العصور الوسطى الاسلامية ، ومنذ توهج مشعلها لينير الطريق لرواد النهضة الاروبية ، وغدا الامر بالنسبة لفضل المسلمين على حركة النهضة الاوروبية حقيقةلايمارى فيها أحد ، ليس الى انكارها أو جحودها من سبيل .

ولعل هذا الذي رأيناه في لندن متمثلا في مهرجان العالم الاسلامي والندوة التي صاحبته ليس الا صوتا من أصوات الانصاف التي تشيد بالاسلام وحضارته وطريقة جديدة للتعبير عن فضل العرب والمسلمين على التراث العلمي والفني العالميين .

لعل هذا الذي حدثكان تلبية لهاتفوجداني بحث عند الذين فكروا فيه ، لعله نوع من الري العلمي في حقبة زمنية أجدبت فيها النفوس على أثر الفشل الذي منيت به نزعات السيطرة في كل مكان من العالم .

لعل هذا الذي حدث عود الى انسانية الانسان بل لعله بدء لحلقة جديدة من حلقات التطور الحضاري ، وفي تاريخ الحضارة يصعب أن تعرف موارد الاستقاء وأماكن الالتقاء ، وقد يكون هذا الذي حدث في لندن مجرد نزوع ثقافي يرضي النفوس

قارورة من عهد السلطان بيبرس البندقداري

جزء من زخارف مصحف السلطان المؤيد

بدأ سك النقود في عهد الخلفاء الامويين ، وكانت في بادئ امرها تشبه العملات الفارسية والبيزنطية في نقوشها التي تخالف مبادئ الشريعة الاسلامية ولكنها اتخذت بعد ذلك اسلوبا خاصا مميزا ، ولم يرسم عليها سوى النقوش المكتوبة ، وتطورت حتى صارت فنا رفيعا يشهد بعبقرية الفنان المسلم .

المتعطشة الى التراث أيا كان أصحابه ، مرغوبا فيه لذاته وصفاته ، ثم يكون مايكون من وراء ذلك ، واللقاءات تسفر دائما عن نتائج بعضها يمكن أن يتوقع وبعضها الاخر لايكون عادة في الحسبان .

ومهما يكن من الامر عند الذين رتبوا للندوة والمهرجان فليس لنا أن نحجم عن المشاركة ، وليس لنا أن نسيء الظن ، وليس لنا الا أن نراها فرصة سانحة نتبين من خلالها رأى العالم في تراثنا وحضارتنا ، لعلنا نلمس فيهما مالم نلمسه من قبل بل ولعلنا نسهم في الحديث بما يمحو خطأ علق بالاذهان أو يدحض فرية روجها المبطلون .

شهد العالم في مهرجان العالم الاسلامي مابلغه المسلمون من تقدم في مجالات العلوم الفلكية والرياضية والكيميائية والطبية والبيولوجية وما أدركوه في العصور الوسطى الاسلامية من توصل الى كثير من الحقائق التكنولوجية التي لم يدركهاالغرب الا في عصوره الحديثة .

واستمع العالم في الندوة المصاحبة للمهرجان الى مابلغه المجتمع الاسلامي من هدوء واستقرار ورفاهية بفضل من اتباع تعاليم الاسلام السمحة وتطبيقها في ايمان عميق بالله الواحد الاحد ، وتسليم كامل بأن الحكم لله وحده لاجبروت الا جبروته سبحانه ولا استظلال بغير ظله تعالى – جعل من خلقه أولياء على الناس ، يطيعونهم ماأطاعوا

١

٢

٣

٤

١ – درهم فضي ضرب في أوائل العصر الاموي وهو يشبه الى حد كبير الدرهم الساساني .

٢ – درهم فضي سكه العباسيون عام ١٢٨ هـ قبل أن تستتب لهم أمور الحكم بسنوات قليلة حينما كانوا يتخذون من بيشابور مركزا لهم حيث ضرب هذا الدرهم الفضي .

٣ – قطعتان من النقود في عهد الازدهار أيام خلفاء بغداد في القرن الثالث الهجري ،احدى القطعتين من عهد المعتصم .

٤ – دينار ذهبي ضرب في فترة حكم مجد الدولة البويهي (ممن حكموا فارس والعراق قبل السلاجقة ٣٨٧ – ٤٢٠ هـ)

(مشكاة من البرونز ربما صنعت في وقت مبكر يرجع الى القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي او الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي بارضية مخرمة عليها كتابات كوفية .

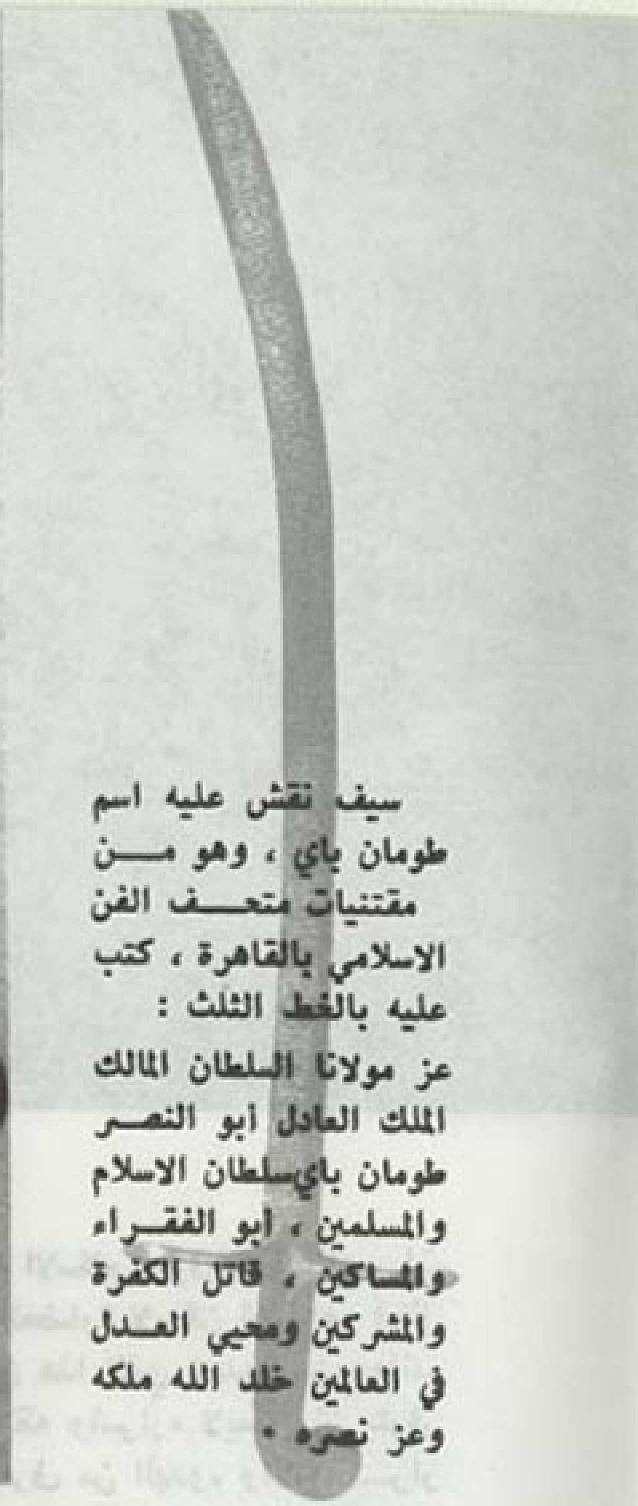

سيف نقش عليه اسم طومان باي ، وهو من مقتنيات متحف الفن الاسلامي بالقاهرة ، كتب عليه بالخط الثلث :

عز مولانا السلطان المالك الملك العادل أبو النصر طومان باي سلطان الاسلام والمسلمين ، أبو الفقراء والمساكين ، قاتل الكفرة والمشركين ومحيي العدل في العالمين خلد الله ملكه وعز نصره .

الله ، من حكم فاستقام فعدل كان وليا صالحا ، ومن حاد فاعوج فبغى كان مقيتا عند الله ، لاطاعة له .

ـ كان المهرجان وكانت الندوة دعوة الى الاسلام وان لم يردها الداعون أن تكون كذلك .

ـ كان كلاهما بمثابة الناقوس الذي دق في آذان المسلمين فأيقظهم من سبات .

ـ كانا عرضا رائعا للاسلام دينا وعلما وفكرا وحضارة

ـ كانا لقاء هيأته العناية الالهية على صعيد مجدب أهلكته الحضارة المادية

ـ كانا جمعا لشتات بعثرته السنون هنا وهناك في متاحف العالم وكبرى مكتباته ، ونشرا لما انطوت عليه مجموعات الهواة من نفائس الكتب والمخطوطات ، ماكان لاحد أن يراه مجتمعا في مكان ليرى فيه تراث الاباء مثل مارآه في هذا المهرجان .

دع عنا ماردده المرددون من المثالب والمآخذ ماكان ، وما كان ينبغي أن يكون لننظر الى المهرجان والندوة من زوايا الايجاب :

كان المهرجان وكانت الندوة التي صاحبته بمثابة البرق الذي لمع فألقى ضوءا وهاجا على ماكان للمسلمين من ماض عريق في مجالات العلم

علبة ادوات كتابية من الموصل ترجع الى القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي وهي مصنوعة من البرنز ومبطنة بالنحاس والفضة

والفن بأوسع ماني كلمتي العلم والفن من معان في عصرنا الحديث ، كانا لقاء بشريا هائلا التقى الناس فيه من كل عقيدة وكل جنس وكل لون حول تراث حضاري مانظنه اجتمع لامة من الامم غير أمة الاسلام .

كان لقاء على أرض غير اسلامية استعرض العالم فيه تراث الاسلام ونوقشت فيه قضايا غلفها الابهام تارة وجمعتها الاغراض تارة أخرى وظلت مضغة في أفواه المارقين والمغرضين حتى انبرى لتوضيحها ودفع شبهاتها خيرة من علماء الاسلام جاءوا من كل فج فدحضوا بالحجة والبينة أقوال المفترين والمبطلين .

وتجلت في هذا اللقاء عظمة الاسلام دينا وروحا وحضارة بما لم يكن لاحد في حسبان .

وانفض الجمع البشري الهائل الذي التقى في بريطانيا وبقيت الصورة ، صورة الاسلام عقيدة وحضارة راسخة في السمع والبصر نافذة الى الوعى بأقوى مايكون الرسوخ والنفاذ .

وتجلت أمام العالم حقيقة كبرى استشفها الذين شهدوا تراث الاسلام معروضا في قاعات المهرجان ، هي أن الحضارة لايمكن أن تزهو في ظل القهر والقسر ، وان هذا الذي شهدوه من عجائب الفن الاسلامي ودقائقه واسراره لايمكن أن يتوفر لمجتمع الا في ظل وارف من الهدوء والاستقرار والامن ورغد العيش ، وأن هذا الاستغراق والتكريس والاجادة البالغة حد الاعجاز لابد أن تكون منبعثة من وجدان أرهفته العقيدة فافرغت على الفنان المسلم من روحها وجعلت منه عاكفا زاهدا في عرض الدنيا يتطلع الى ثواب الله وعفوه ورضوانه بما صنعت يداه .

استشفوا من خلفيات مارأوا أكثر مما شهدوا من سطحياته ، وادركوا أن فنون الاسلام دارت مع العقيدة دورانا تلازميا ، خدمت أغراض المجتمع الاسلامي في شئون الدين والدنيا بدرجة من الاجادة سواء بحافز مستمد من الايمان بالله ووازع من نفس تعتقد أن الله يراها فيما تعمل ، يدفعها الى الاجادة قوله تبارك وتعالى :

(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) وقول رسوله الكريم (ان الله يحب

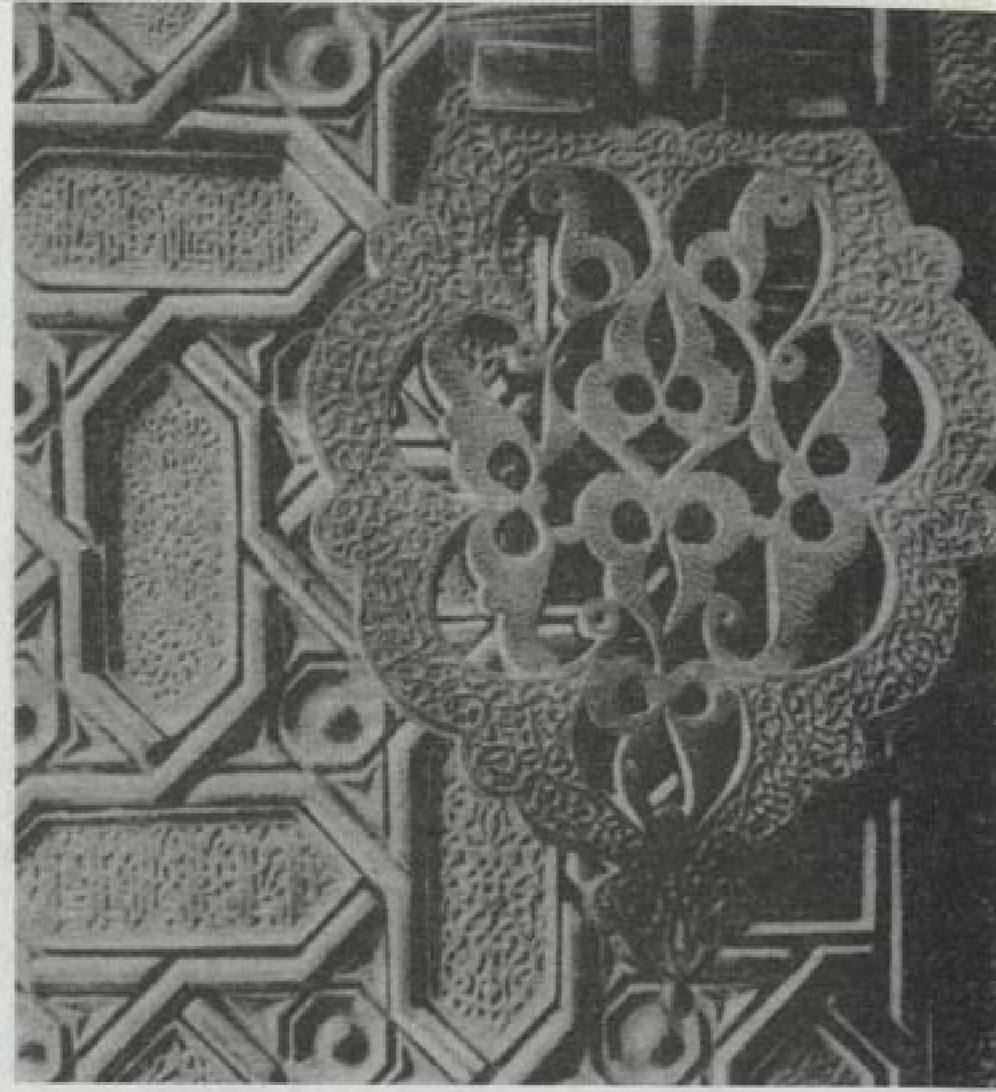

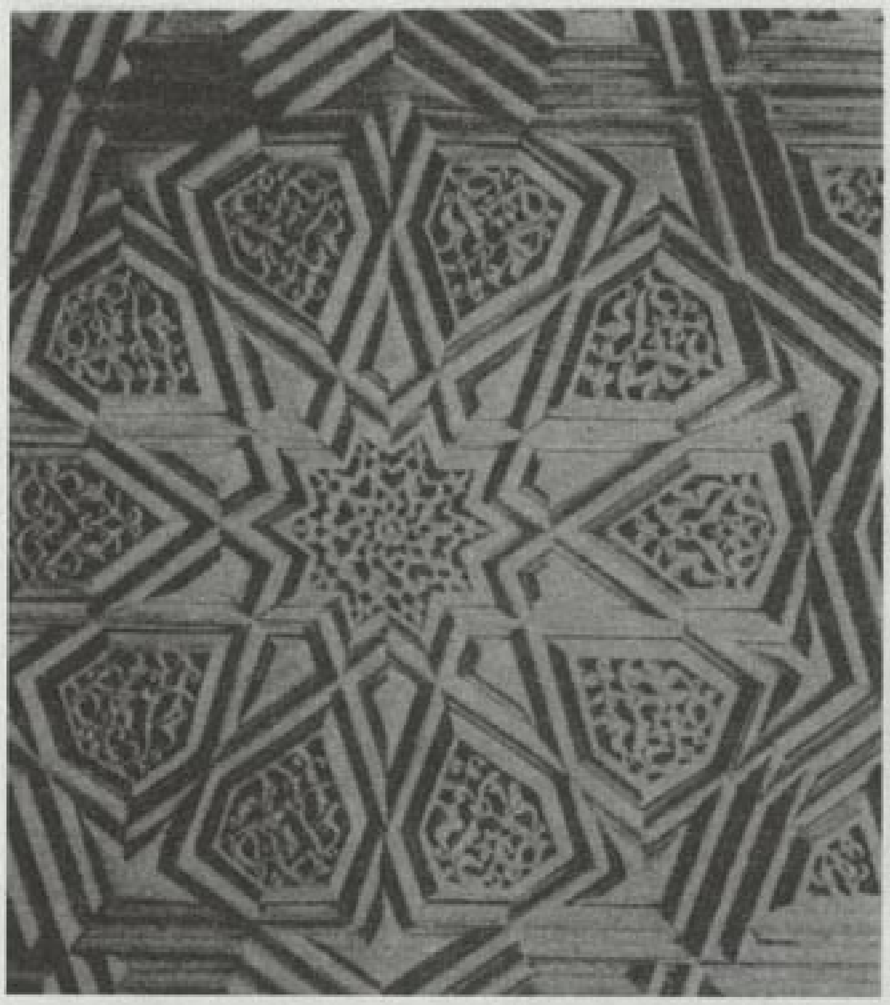

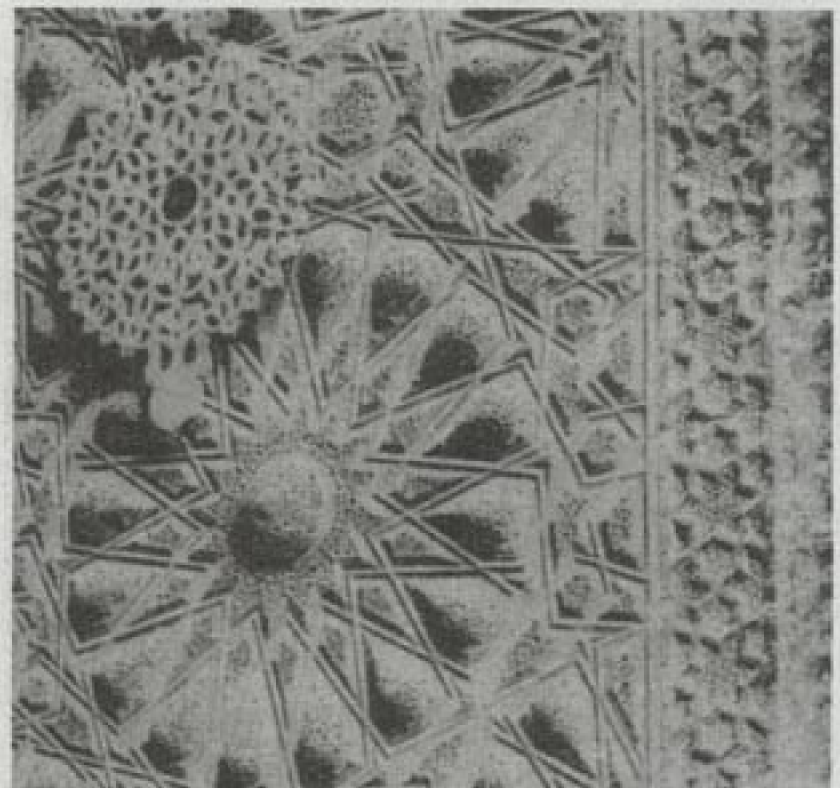

من روائع الفن التي أبدعها المسلمون على الخامات المختلفة

العفر على الخشب وتطعيمه بالبرونز ـ تشكيل الزخارف على الخشب ـ تطويع البرونز للتشكيلات والوحدات الزخرفية ثم رسم المصاحف على الجلد والورق .

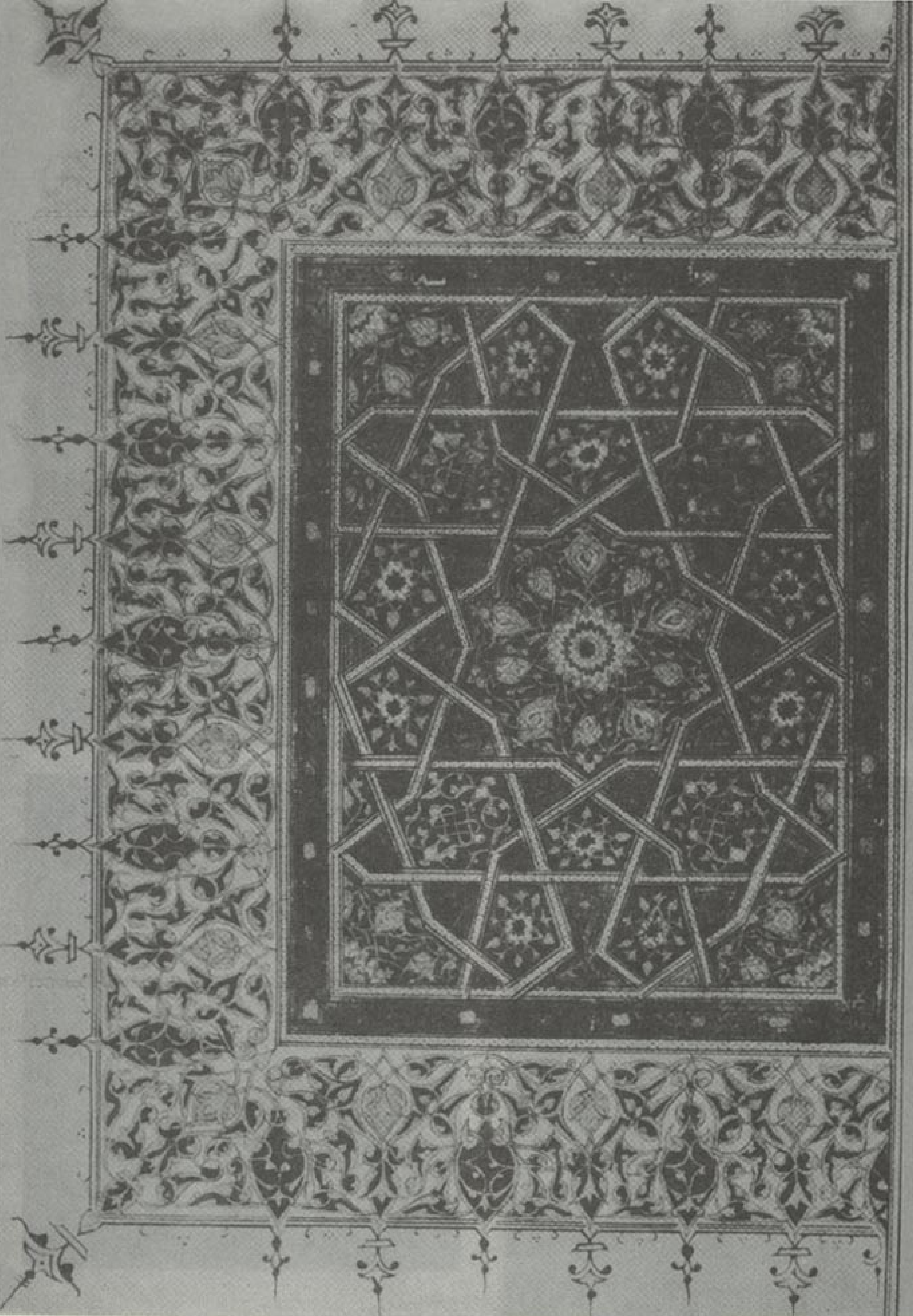

اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنـــه) ، بدافع من العقيدة ووازع من النفس المؤمنة أنتج رجل الفن المسلم هذه الايات الفنية تحفا لاتبارى ونمـــاذج ليس لدقتها وجمالها وتجريدها مثيل ·

وفي مجال العلم كان العالم المســلم بدوره عاكفا على جمع الشارد والوارد من حقائق العلم ، متنقلا في ربوع الدولة الاسلامية ، ناسخا لما يعثر عليه في صمت ، دارسا لكل ماحصل في عمــق ، سالكا اياه في نمط ، مضيفا اليه فكرة في غير زهو ، في صفة العالم المتواضع الذي كلف نفسه المشقة لم يكلفه اياها أحد ، ضاربا أروع الامثلة فيالتحمل والاناة والصبر ، باذلا من صحته وماله مالا يبذله الا المنقطع الذي وهب حياته لامر جليل ذي بال ·

وحقق العلماء المسلمون في هذا السبيل مالم يحققه السابقون واللاحقون ، أنتجوا فيمجال الجمع والتوليف والاضافة ثروات هائلة في شتى نواحي المعرفة الانسانية وكانت طريقتهم في ذلـــك هي الطريقة « الموسوعية » التي تجعل المعرفة كـــلا عضويا لاتنفصل فيه اللغة عن الادب عن التاريخ عن الفلسفة عن الطب عن الكيمياء عن الهندسة عن الرياضيات وغيرها الا فيما ندر من التاليف ، وخلفوا للاجيال تراثا لايشبهه في كمه وكيفــه تراث ·

وتراث الاسلام معين لاينضب منه استقــى المشغوفون بالدراسات الاسلامية مستشرقون وغير مستشرقين ، نهج فيه المستشرقون نهجهم العلمــي الخاص ، وكان لهم فضل البدء في تجلية هــذا التراث كشفا عن كنوزه وتبويبا لموضوعاتهوفهرسة ونقلا الى اللغات الاخرى ، وهم الذين اضافوا الى الدراسات الجامعية في كل انحاء العالم دراســات جديدة في معاهد الحقت بكثير من تلك الجامعات ، عرفت في كل منها باسم معهد الدراسات الاسلامية Gnstitute Fgslamie Studies

وصحبت اليقظة الاسلامية الحديثة حركـــة احياء للتراث الاســـلامي ، أخذ ورثة التــــراث يستجمعونه مادة ، ويعنون به دراسة ، ويطبقون في دراسته أساليب البحث العلمي الحديث ·

وعنيت دول العالم الاسلامي بحركة احيـاء التراث منذ وقتطويل قبلانعقاد المهرجان الاسلامي في العاصمة البريطانية وأوفدت الى كل مكانرسلها يحصلون على نفائس هذا التراثعن طريق التصوير والميكروفيلم وبأسلوب التبادلالمرحي بين دورالكتب ومراكز الوثائق ، وحركة استجماع التراثالعلمي الاسلامي قائمة عند كبريات الدول الاسلامية على قدم وساق ترى فيها عودا الى أصالة ووصلا لمـــا انقطع ، واستئنافا لما كان لنـــا من ماض عريق ، ليست ترفا فكريا وليست دعاية من دعايات العصر انما هي رغبة صادقة في مسايرة ركب العلم بأسلوب العصر الذي نعيشه ومن أولى بالتراث من أصحابه وأجدر باستجماعه واستجلائه من بنيه ·

وليس يعني هذا أن تظل علامتا الاستفهام والتعجب مرتسمتين على جباهنا وشفاهنا نتساءل كيف تنبعث حركة الاهتمام بالتراث من الغرب ، وكيف تشهد القاعة الملكية البريطانية للكومنولث كل هذا الاهتمام بالاسلام دينا وعلما وفنا وحضارة

لقد زالت من الوجود الامبراطورية التـــي لم تكـــن تغيب عنهـــا الشمس ، وخلت قاعـــة الكومنولث من كل معنى سياسي وصارت مجرد أثر منذ هزمت حركات التحرر والاستقلال أطمــاع التوسع الاستعماري البريطاني وقضت عليها قضاء مبرما ·

وكان على البريطانيين أن ينشـــدوا غـاية انسانية تستر ماكان من غايات النفع الخاص ،وهم من القدرة بحيث يستطيعون أن يسدلوا على الماضى أستارا كثيفة ، وأن يجدوا العوض عما خسروه في مجال السياسة كسبا يكسبونه في مجال العلم ، وهم على مايعرف الناس طلاب مكانة ، ولايضيرنا في شيء أن يكونوا قد حققوا مأربا علميا وهم يدعون الى مهرجان وندوة جاءت محصلتهما اشادة بالاســلام وسبق المسلمين وتفوقهم في ميادين الفكر والثقافة والفنون ·

كان الكسب كل الكسب للاســلام ـ اذا سعى الغرب الى تراثنا فبحث عنه وابرزه واستخرج منه وعلق عليه ونشره في صورة أو أخرى ، كان ذلك غاية العرفان بفضل المسلمين على الحركة العلمية الانسانية ، والعبرة بالنتائج الايجابية التي حققها

اولى الفنان المسلم زخرفة المصـــاحف عناية فائقة واثارت اللوحات الزخرفية في المصاحف التي عرضت بلندن دهشة واعجاب المشاهدين لدقتهـــا وروعتها ·

اللقاء الكبير ، وفضل البريطانيين في ذلك هو فضل الوسيط لاسبيل الى انكاره وليس من العدل ان نغض من قيمته بحال من الاحوال ، وليس من الانصاف في شيء ان نقول قولة الذين وصفوا الحدث الكبير بانه كان شراء وبيعا لان الانجليز « تجار » وصفهم بذلك شاعرهم شكسبير ٠

كل تحفة عرضت في المهرجان لابد عائدة الى مكان ورودها ، وكل كلمة قيلت القت الضوء على ركن من أركان الاسلام عقيدة ونظاما حياتيا وحضارة ، وكل نشرة او كتيب او كتاب ظهر او هو في سبيله الى الظهور اشعاعة من شانهاأن توضح جانبا من جوانب الاسلام كان مايزال في حاجة الى التوضيح ٠

وحرصت (الدارة) الا يفوتها شيء مما دار في الندوة وما اسفر عنه المهرجان ، فخصصت لهما عددا من اعدادها ، وذلك منها غاية السعي الى ايقاف قرائها على ماحدث ، لعل لهمفيماحدث راي ، ولعل لها فيه راي ، ولعل رايا عاما تتولى (الدارة) بلورته عن طريق الاستفتاء ، يرسم الطريق ويحدد معالم الصورة التي يكون عليها المهرجان القادم ، ففي ذلك خدمة عظمى تقدمها (الدارة) للمهرجان التالي تفاديا لكل ماخذ وتلافيا لكل نقد ٠

وثمة ظاهرة جديرة بالذكر والاعتبار ، أن المهرجان أتاح فرصة لقاء نادر تم في ساحته بين شيخ الازهر ورئيس اساقفة كنتربري وائمة المسلمين من كافة بقاع الارض ممن شاركوا في هذا اللقاء متحدثين او مشاهدين ٠

١ ـ مبخرة نحاسية أبدع الفنان في نقوشها ، صنعت في سوريا في القرن ١٣ م

٢ ـ دورق من الزجاج الملون من القرن ١٠ م

٣ ـ كاس زجاجي مموه بالمينا من القرن ١٤ م

٤ ـ طبق من القرن ١٦ م وهو نموذج رائع للفن الاسلامي في عهد العثمانيين ، واستخدمت فيه الوحدات النباتية ٠

٥ ـ استخدم الفنان الحروف العربية في زخرفة هذا الطبق الفخاري وهو من القرن العاشر الميلادي ٠

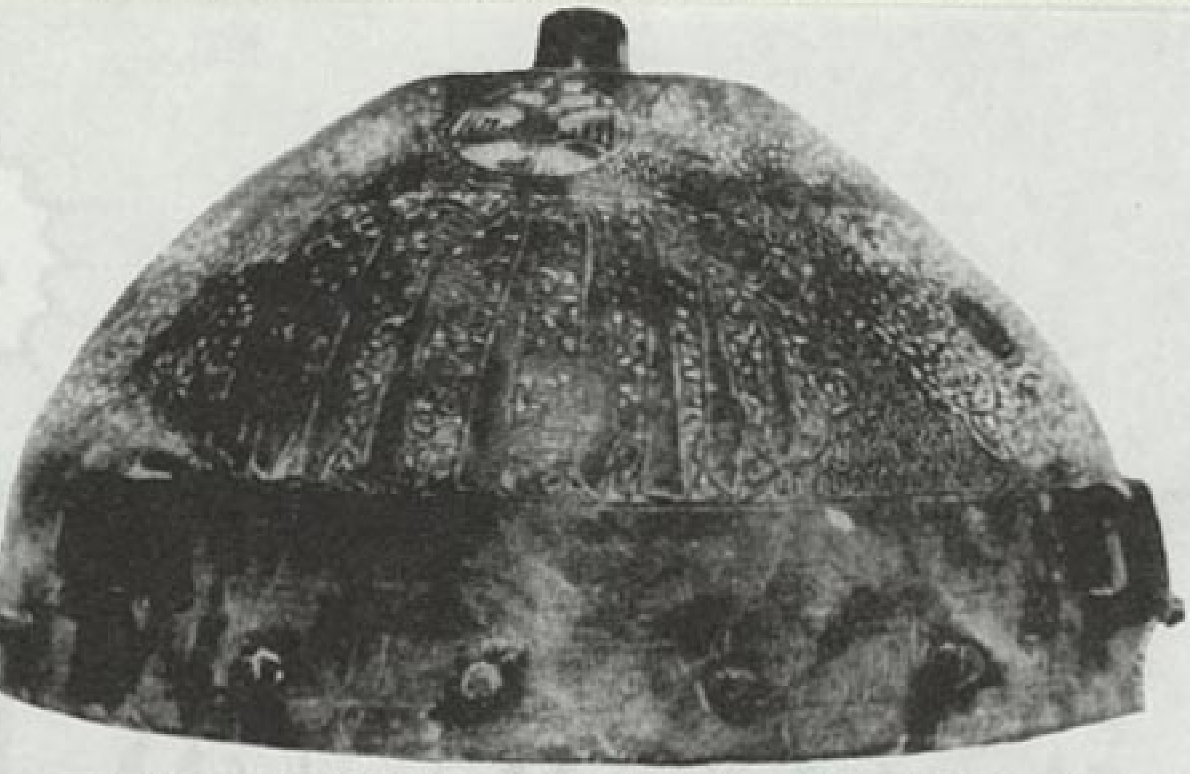

طبلة « نقارة » من النحاس المطعم بالفضة من العصر المملوكي « القرن الثامن الهجري – الرابع عشر الميلادي »

والمهرجان صيحة في أذن العالم يتبني ألا تخفت ، ودعوة لقاء أخوي بين القاصي والداني من بني البشر لابد لها أن تتكرر ، وفكرة اجتماع حول غاية يسمو بها الانسان ويشرق ، ويتجرد من نزوات الهوى والغرض ، حين لايكون وراء الاجتماع غاية غير استجلاء الحقيقة وتقريرها دون تعصب ونسبة الفضل الى ذويه دون أثره ·

ومن يدري فقد تكون الفكرة تحولا في اتجاه الاخوة الانسانية وبداية لعهد جديد يهتدي فيه الانسان الى ماهو أنفع وأقوم ·

بقيت كلمة اريد ان أسوقها الى أصحاب التراث ··

هل يليق بنا ونحن نلغص بعض ماقيل مترجما عن الانجليزية ان ندل على جهالة فاضحة بعلمائنا فيتكلم منا من يتكلم عن عالم عربي معروف هو بديع الزمان اسماعيل الجزري الذي اخترع الكثير من الآلات وضمن مؤلفه في التكنولوجيا شيئا غير قليل من المبتكرات العملية تحت اسم « الحيل الهندسية » الفه تحت رعاية « محمود بن ارتق » في آمد من اعمال دياربكر ١٢٠٥ هـ ، سماه الكاتب المترجم « الجازاري » بدلا من « الجزري » ووقع فيما لم يقع فيه الاجانب ·· مستشرقون وغير مستشرقين « والجزري » علم من أعلام العالم العربي أشهر من ان يعرف به ويدل عليه ·

وجزر مدينة كنعانية في فلسطين ورد ذكرها في الكتاب المقدس وفي ألواح تل العمارنة ، وهي الان (تل جزر) في فلسطين الحالية ·

وحق الذين يتصدون للكتابة في تراث الاباء أن يكونوا على قدر كاف من الثقافة بحيث لاتفوتهم بسائط المعرفة وفي قمتها أسماء الاعلام ·

ملاحظة أخرى أود أن أسوقها ، هي أن التعريف بالاسلام لاينبغي أن يتعرض له الاالعلماء الافذاذ ، وكان المهرجان والندوة مجالان لايتحدث فيهما عن الاسلام الا شيخ من شيوخه الحاذقين له دينا وعقيدة ، وعالم من علماء الحضارة الاسلامية العارفين بها الدارسين لها الراسخين في تفسيرها في ضوء روح الاسلام وتعاليمه ، ولكل من المجالين رجاله ، فلنحذر الخلط في مرتنا القادمة ·

لم يكن المهرجان والندوة ساحة سياسية يتسابق الى الحديث فيها كل راغب في الحديث كما لو كانت ساحة أعلام ، والاسلام بقوة دعوته ونصوعها يتنزه عن ذلك ويتعالى ·

وجدير بنا ان نتوقى الاخطاء وان نتجنب كل مامن شانه ان يظهرنا بمظهر الجهالة ونحن ورثة التراث ، أولى الناس بفهمه ، وادرى الناس بما ينبغي له ·

فلنتزود بالقدر الكافي من الثقافة الدينية والمعارف العربية الانسانية قبل ان نخوض في الحلبة ونهرف بما لانعرف ، خشية ان يوصف ورثة التراث بالجهل بما كان للاباء والاجداد من تراث ·